Editor-in-Chief
Fakhri Karim
AlMada
General Political daily
30 April. 2011
http://www.almadapaper.com
Email: almada@almadapaper.com

12 صفحة
500 دينار

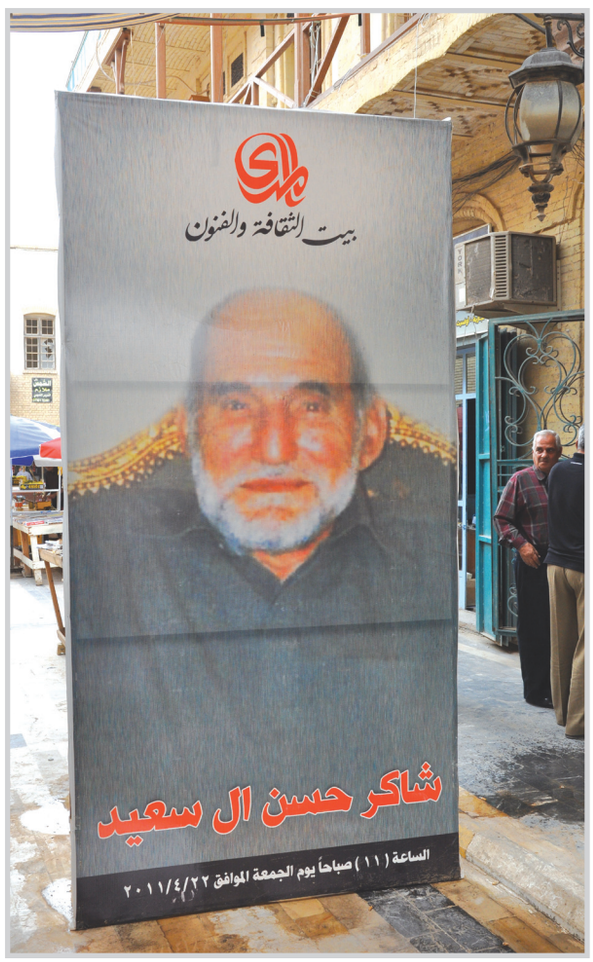


### بيت المدى يحتفي بصاحب البعد الواحد

# شاكر حسـن ال سعيد.. فيلسوف التشكيل العراقي

نورا خالد – محمود النمر

تصوير ادهم يوسف

**١٩٢٥هي سنة ميلاده في مدينة (السماوة) وبين تأريخ ولادته واستقراره في بغداد سنة ١٩٣٣ كانت طفولته تنتقل بين مدن الجنوب (قلعة سكر) (وبدرة) و (الحلة) وبعينين منفتحتين شاهد البؤس والفاقة بين سكان الجنوب بشكل عام وشاهد ذلك مباشرة مرتسمة على وجوه أقرانه في المدرسة وفي الشارع الذي يسكنه.**
**وسمع صرخات الاحتجاج المكبوتة في نداءات الباعة وما خلف هذه النداءات من قلق على الحصول لقوتهم اليومي، وسمع غناء المغنين يتعالى ليبدد حجب الليل وسكونه ويستمر حتى الفجر، يسأل عن كل هذه الظواهر فيجيبونه انهم يحيون حفلاً لزواج احد أبنائهم أو صديقاً لهم او ابن محلتهم لا يقنعه هذا الجواب ويفكر ان هناك شيئاً أعمق من ذلك ويندرج ضمن حالة احتجاجية على الواقع الذي يعيشونه، ان ما سمعه يظل ضمن خزين ذاكرته ليضيفه الى كفاح هذا الشعب.**

هكذا اختزنت ذاكرة الفنان فيه الشيء الكثير من الموروث والتراث وتعاملت معه بصدق وحساسية مرهفة لهي جديرة بصاحبها ان يكون احد رواد الحركة التشكيلية العربية ومفكريها القلائل.

في طفولته كان متفوقاً على أقرانه في الرسم، وكان يتلقى التشجيع والدعم من أبيه الذي كان يخرجه معه ويحدثه عن الرسم ويحثه ان يرسم بعض المشاهد في (المقهى) أو (الخيول) و (التماثيل المتنوعة) ويقول في ذلك" اعتقد ان والدي – رحمه الله – كان استاذي الفني الأول لأنه كان يصطحبني معه في بغداد للجلوس في مقاهي منطقة الصالحية في كرادة مريم وهي مقاه محاطة بتمثال فيصل الأول، وكان يطلب مني رسمَ التمثال او رسم تمثال الجنرال مود، وكان أيضاً يرسم لي مستقبلي بسليقته الشعبية تخطيطات للخيول، وكان مولعاً باقتنائها فيما مضى.

لقد تمسك بالتراث وأصر على أن يكون متجدداً ومتفرداً في خضم التيارات العالمية والحركات الفكرية التي تظهر بين الحين والآخر، انه يستبق الزمن.ويطرح نفسه كمفكر يحمل عملية تزاوجية بين التصوف وهموم الفن التشكيلي بأحدث ما وصلت اليه المدارس والأساليب المتعددة ويصر ان يكون طليعياً في ذلك، لذا وصف بأنه مفكراً عربياً سد كل الثغرات في الكتابة عن الفن التشكيلي.

اذن ما هو التغير الذي طرأ على حياته وتمسكه بالعملية التزاوجية بين التصوف والفن التشكيلي؟

لقد كانت حياته اعتيادية وكأي شخص موهوب يريد أن يسلك طريق الفن لصقل موهبته، في دار المعلمين العليا اثناء دراسته سنة ١٩٤٧ يتعلم الرسم بالزيت على يد زميله فريد يوسف نانو وفي سنة ١٩٤٩ ينتسب الى معهد الفنون الجميلة القسم المسائي رغم المصاعب التي يلقاها من جراء السفر بين بغداد وبعقوبة التي عين فيها مدرساً للرسم في مدارسها وكان يعود في الليل في القطار قاطعاً مسافة ٤٥كيلو متر في هذا الجو المليد بالغيوم ونحو الوعي الاجتماعي وتفجر الطاقات لشعب ينشد الحرية والاستقلال التام من نير الاستعمار الانكليزي يتحدث شاكر حسن ال سعيد فيقول " كانت بغداد أشبه ببركان قابل للانفجار كانت ((الوثبة)) ضد الاستعمار الانكليزي في ١٩٤٨ قد تحدث وعياً اجتماعيا وشددت مطالبتنا بالحرية والحياة الجديدة. الى التزامنا الاجتماعي والانساني تملكتنا رغبات وقناعات بضرورة التغيير، بضرورة الحداثة. هكذا جمعتني تلك السنوات ببدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وجبر ابراهيم جبر وبلند الحيدري كنا نلتقي مساءً في (مقهى ياسين) بين السادسة والثامنة مساءً مع الموسيقي فريد الله وردي والشاعر الراحل حسين مردان والصحفي الراحل عبد الحميد الونداوي ونهاد التكرلي.

كانت ايام البحث والتقصي والعمل المتواصل للوقوف على مديات الحضارة السومرية والبابلية والاسلامية لبلاد ما بين النهرين. كانت محاولات الاسلوبية تجمع بين المؤثرات الحديثة في الفن الأوربي من تكعيبية ووحشية وتعبيرية والمؤثرات الحضارية العراقية والعربية ثم ما لبثت رسوماته في نهاية الخمسينيات تنحاز بصورة حازمة الى النزعة التجريدية،لكيما تتمثل خصوصاً في التجريدية اللاشكلية في عام ١٩٥٦ عالم التحولات وعالم الصعود وعالم المعرفة وعالم التصوف هذا الفتى الريفي الذي يحمل كل خصائص أهل الجنوب وكل معتقداتهم كان عليه أن يسلك طريقاً واحداً من أثنين، الأول الولوج في داخل الحضارة الأوربية والغوص فيها ومعرفة خفاياها وبالتالي إدراكها وتبينها كما فعل البعض والثاني هو العودة الى تراث بلاده والالتزام به والسير باتجاه التطور ضمن هذه الحداثة، هذا اذا كان الموضوع ثقافيا وتشكيلياً ولكن لا هذا ولا ذاك، لقد كان الموضوع سلوكياً لا ثقافي ولا تشكيلي لذلك كان واضحاً عندما اختار الطمأنينة والسلام والهدوء في التدين وذهب بعيداً عن الفكر الوجودي السائد في فرنسا آنذاك ويقول في تلك الفترة ((في باريس اتضح لي ان الفكر الوجودي. وقد كان الفكر السائد فيها بعد الحرب العالمية الثانية –عاجز عن تبرير نفسه – لم أستطع تحمل مسؤولية اختيار مواقف الانسانية –وهو ما تقول به الوجودية حيث وجدت ان قوى خارجية هي خارجة عن ارادتي تتحكم في مصيري بشكل مذهل وغير منطقي)) لم يؤثر هذا التصوف ومعاناته الروحية على فنه، فقد قدم لنا فناً سلك فيه منحا آخر وهو اختزال الأشكال الى دلالات محدودة المقاصد (انه الفن الصوفي) كما يسميه الفنان نفسه، وقد اكد على الحرف في لوحاته، لقد نظر الى ذلك في جماعة البعد الواحد وانسجم هذا التوجه مع جماعة بغداد للفن الحديث، وكانت دراسته في باريس عن الحرف كأداة للزخرفة وبعد عودته من باريس الى بغداد أصبح الحرف كأداة تعبيرية لديه ليقدم منجزا فنيا متميزا شكل علامة من علامات الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي عن الفنان والمفكر الراحل شاكر حسن ال سعيد اقام بيت المدى في شارع المتنبي فعالياته التي قدمها الناقد والاعلامي كاظم مر السلوم الذي ابتدأ حديثة قائلا:

مرحبا بكم في بيت المدى الثقافي حيث نستمر وإياكم بالاحتفاء واستذكار رموز الإبداع العراقي في مختلف صنوف العلم والفن والأدب والمعرفة.

اليوم نحتفي بالفنان الكبير شاكر حسن آل سعيد الفنان التشكيلي والناقد المهم الذي ترك أثراً واضحاً في خارطة الفن التشكيلي العراقي كذلك أغنى المكتبة الفنية بالعديد من الدراسات النقدية المهمة. والذي شكل علامة مهمة من علامات الفن المعاصر في العراق.. الراحل ال سعيد قامة عراقية شامخة نحتفي اليوم بها باعتباره احد العلامات المتميزة في الثقافة الوطنية العراقية وبوصفه مفكرا عراقيا أصيلا أراد ان يجمع بين الفكر والفن وان يستلهم الافكار ليصبها في قالب فني متطور واضاف السلوم سنسلط الضوء على تجربة الفنان الراحل من خلال شهادات يقدمها عدد من المختصين واولهم الناقد والاستاذ د جواد الزيدي

### د جواد الزيدي: فنان يبحث عن الخلاص الروحي

د. جواد الزيدي الذي تحدث عن مفهوم اللوحة عند الفنان ال سعيد قائلا: اخبرني مرة الناقد عادل كامل، بان ال سعيد يعترف بتغيير مساره الفني عندما تعرف على مصورات الفنان العالمي (تابيس) في الكتاب الذي اهداه (مهر الدين) اليه.

انه فنان يبحث عن خلاصه في الانعتاق والغياب من خلال التناقض التأملي، ويتحدد بحثه عبر موقف منحاز في قراره المسبق للحقيقة، وبهذا يكون الابداع شاهدا على عالم خارجي سبق ان تم تكوينه، وان العمل الفني لديه ليس خلقا، وانما موقف تساؤل وتأمل وتعرف، وفي المرحلة الأخيرة (التعرف) يتحول الفنان الى شاهد مدان، وبهذا يكون الفن طريقة في السلوك من اجل الحقيقة، وليس مجرد اعتقاد فكرة ما من اجل الواقع، وعبر موقفه التأملي، بوصفه تجليا وكشفا روحيا يكتسب الفنان حدود عالمه المشكل، ان هذا العالم الممتد ينساق في توق لاختراق كثافة الحقيقة والتوحد معها.

إن نزعة (ال سعيد) الانتقائية لا تقتصر على توظيف العناصر البيئية في منجزه العياني بل تعدتها الى حضور المعاني والافكار داخل نصه البصري بعد ان يتفاعل معها ويضيف اليها من خزينه الذهني والحسي.

وحين يتلقف اشارة من المحيط او يشغف بجملة من نص قرأه، فانه يتوقف عندها ويبدأ بتمعن ذلك والنظر حتى يصل الى الحفر في اعماقها حتى يفقد طريق العودة ويتيه في مجال الشقوق، لتنتهي أمامه المسافة ولكن البحث لا ينتهي. وجل اهتمامه انصب في تحويل الوجود الى قيم فنية، حينما حاول ان يصور المرئي واللامرئي الملموس والمحسوس، وان جميع تكويناته عبر مراحله المختلفة تتمثل بهذه النزعة التي تجلت بشكل ما في (المعارج) ثم (الجـدران)، وان تجربة اللوحة التي تشاهد من وجهها، ربما تكون قد قربته من تحقيق الرؤية الشاملة، فجمع في الوقت ذاتـه المحيط المرئي وتقنياته، أي العناصر المكملة للوجود كالذرات والحركة والصوت.

بيد ان ال سعيد لم يكن وحيدا في هذا المعترك، على الرغم من رؤاه البناءة في تحديد المسار وتطوير تجربته الذاتية وصولا للفرادة الاسلوبية ذات المغزى النظري ومحركاته التي أحاطت منجزه العياني، حيث شاركه البحث داخل جماعة البعد الواحد (قتيبة الشيخ نوري، جميل حمودي) في استخدام الحـرف المجرد داخـل اعمالهم الفنية في لوحة تزدحم فيها الحروف ضمن انساق تكوينية ولونية مختلفة تحتفظ بدلالتها الموحية ضمن مرجعيات التلقي، فضلا عن هوية العمل الفني وانتمائه للمناخ والارض، وعلى نفس الخطى تحركت (مديحة عمر) حين وظفت الحـرف العربي بشكل مختلف يميل للصيغ الهندسية حادة الزوايا وتوظفه من النسق البصري مع تغريب نهاياته، حتى اصبحت تتماثل مع هيئات انسانية وموجودات الواقع الاخرى.

وأضاف الزيدي: كان شاكر حسن يثير الانتباه بتكديسه للمتناظرات الحسية في اللون والشكل المشحونة بقوة الحلم والانقياد نحو اختيار ذاتي، ومازال الصراع قائما بين مادية العلاقات وهندسية المعـالم في كل شـيء يـوفق بينهما عـالم الحـرف العربي بأشكاله الهندسية والـلا هندسية تسقط في ألـوان من صحراء الذاكرة، وبقايا من مساحة السكون (المساحة البيضاء) التي تلازمه ممتلكة كل الرموز، كل الهمس الصريح للعالم المتناقض المحرك، اذ اقتبس من التراث روحه، ومن المجتمع قلقه ومعاناته، ومن العالم المعاصر جوهره المنتظم ونقاءه، يبحث عن الشوق داخل الأنا والآخر، ولا يعرف مكانه خارج العالم والزمن، يجده حينا في لوحة ما ويهرب منه في العديد منها، يلقاه في جسد المرأة وفي صحراء الألوان.

آل سعيد: أساساً وبناءً

مرحلة الانعتاق (الخمسينيات والستينيات) هي أساس.. وهذه المرحلة ذات ثلاثة اتجاهات:

– اتجاه تكعيبي حيث اعتمد في تكوينات لوحاته على المساحات الهندسية والخطوط المستقيمة (بدايات الخمسينيات)، وقد ترافق مع اتجاهه هذا بيان جماعة الفن الحديث التي كانت قد تأسست في عام ١٩٥١.

– اتجاه تعبيري حيث بدأت تحولات تجربته اعتماد ثيمات عراقية استلهم بعضها من الموروث الشعبي واستقى بعضاً آخر من الميثولوجيا الإسلامية مع معالجة هذه الثيمات بواقعية (نهاية الخمسينيات)، وقد عمد الى التحرر من قيود اللوحة التقليدية ليقدم لوحة متحررة من تلك القيود وإعادة الاعتبار الى الموروث الشعبي والميثولوجيا الإسلامية رافق ذلك لغة حداثوية مؤثرة: كنا نريد ان نوضح للفنان العراقي عامة وأنفسنا كجماعة فنية خاصة بأن استلهامنا للتراث في الفن هو المنطلق الأساسي للوصول بأساليب حديثة الى الرؤية الحضارية.

– اتجاه تجريدي حيث انتقل فيه من الرمزية نحو التحويرات الحروفية واستلهام المهمل في الجدار وإعادة صياغته كعمل فني مؤكداً في ذلك على فترة الفن البيئي او فن المحيط الذي نعيش فيه (منتصف الستينيات)، هنا بدأ بتأمل الحرف العربي كوسيلة للتعبير عن نزعته الصوفية من خلال التجريد وقد ترافق هذا مع البيان التأملي في عام ١٩٦٦.– الفن لديه: تساؤل.. تأمل.. إدراك.. معرفة– طريق للبحث عن الحقيقة عبر تجلي المكاشفة الروحية والولوج في عوالم النفس الداخلية.– العالم الخارجي شكل تقليدي للرؤية والتأمل هو شكلها الجديد.

وعن المراحل في حياة الفنان ال سعيد قال الناقد حاجم:

مرحلة ما بعد السبعينيات هي بناؤه، في السبعينيات بدا الابتعاد عن التشخيص في الرسم وانجاز كلية التجريد النسبي ثم التجريد المطلق. في الثمانينيات بدأ يجسد توليفاً استثنائياً للحداثة والإسلام.

صارت لديه فلسفة في الفن متجذرة في الفكر الحديث (الغربي) والصوفية الإسلامية (الشرقية)، بهذا جمع بين البنيوية والسيميائية والتفكيكية والظاهرية والوجدانية.

في التسعينيات صارت اعماله نماذج تحاور حالتي الحداثة وما بعد الحداثة مقالات في التنظير والنقد الفني/١٩٩٤.

البحث في جوهرة التفاني بن الأنا والآخر.. تأملات ودراسات في الأسطورة واللغة والفن ٢٠٠٣.

### طارق حرب: آل سعيد ريشة متصوف وعقل فيلسوف

الخبير القانوني طارق حرب تحدث عن التجربة الصوفية في حياة الفنان شاكر حسن ال سعيد قائلا:

هو آخر أعلام العراق الذي جمع بين الإبداع بالفن والتصوف بالعقل والفلسفة بالقلب حيث شكل سبيكة من فن وتصوف وفلسفة فجاء بها لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق في أعماله وكتاباته إذ حكم من الظاهر في الباطن ومن الباطن في الظاهر نحو ما يقول المتصوفة فحصل له بالحكمين كمال وتمام نحو ما يقول أسلافه المتصوفة وعندما تقف أمام إبداعاته نظرة تأمل وتدبر وتظهر وتفكر وتحر واستحصاء فأنك تجد إنه يردد قول شيخ المتصوفة من الشعر أبي حامد الغزالي:–

غزلت غزلاً فلما لم أجد نساجاً كسرت مغزلي

وجمعه بين العلم بالفن والتصوف أوصله إلى مرحلة التحقق وهي أعلى مرحلة من مراحل الكمال الإنساني نحو ما يقول المتصوفة ذلك وإنهم يعدون ان هنالك مراحل ثلاث للعقل الإنساني هي:–

مرحلة التفسخ ومرحلة التزندق ومرحلة التحقق. فمن تمكن من العلم دون التصوف تزندق أي أصبح زنديقاً ومن تمكن من التصوف دون العلم فقد تفسخ أي أصبح فاسقاً ومن تمكن من العلم والتصوف فقد تحقق أي وصل إلى الحقيقة ومن مرحلة تمام المعرفة فهم يدفنون العلم بدون تصوف ويرفضون التصوف بدون العلم. فلقد فاق آل سعيد أقرانه في تشكيلاته وبهذا أمثاله في كتاباته فكان نادرة زمانه حالاً وأنفاساً وعلماً ودرعاً وزهداً واتقاء ينطبق عليه ما قالوه في شيخه بشر الحافي: لو قسم عقله على أهل بغداد ما نقص شيئاً من عقله وكان مبدعاً بحق وحقيقة حيث أن أعماله وتشكيلاته وكتاباته ينطبق عليها قول الشريف الجرجاني المتصوف الكبير ٨١٦ هـ فالإبداع إيجاد شيء غير مسبوق بهاده أو مدة (زمان) فهو يسبق الخلق والتكوين لأنه مسبوق بمدة ومادة أي انه إيجاد شيء من شيء لذا قال المتصوفة شيوخ آل سعيد الإبداع اعم من الخلق والتكوين لذا قال بديع السماوات والأرض وقال خلق الإنسان ولم يقل بدع الإنسان وهكذا كان شاكر حسن آل سعيد فلقد كان مبدعاً وليس متبعاً ومبتكراً وليس مكرراً صاحب أصالة وليس إجالة ولمؤسسة المدى الثناء والإطراء فلقد احتفلت بما يستحق الاحتفال واحتفت بما يستحق الاحتفاء مع آل سعيد جعله الله سعيداً في آخرته كما أسعدنا

بعدها بدأت المداخلات التي شارك فيها الناقد عادل كامل والفنان حسن عبد علوان والفنان عزيز خيون والفنانة التشكيلية زينب مبارك، المتحدثون سلطوا الضوء على زهد ومكانة وانسانية الراحل وتأثيره الكبير على الحركة الثقافية في العراق، وايضا على سعة معارفه وتعدد اهتماماته بين الرسم والفلسفة والنقد والشعر .

## قـــالـــــوا...

الفنان التشكيلي شاكر حسن آل سعيد هو أحد الفنانين القلائل المتميز بفنه الذي يشوبه الغرابة والغموض والجمالية الفريدة المبسطة فهو فنان مرهف الحس رغم حدة ملامحه ذو شخصية فريدة.

أما عنه فقد كان متأثرا بحضارة وادي الرافدين حيث كانت معظم أعماله خطوطا وعناصر على الجدران كما كان اجدادنا القدماء يدونون على الجدران ومن غرابة طباعه عندما كان يدرس مادة تاريخ الفن في معهد الفنون الجميلة في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات اهتمامه بعلوم الباراسايكولوجي والميتافيزيقيا (علوم ما وراء الطبيعة) حيث كنت احد طلابه ومعي جماعة صغيرة من الطلاب كان يلقي علينا محاضرات في تطوير القدرات الذهنية والروحية وكان معظم الطلاب والاساتذة معجبين بشخصيته الراقية والمبدعة.رحم الله فناننا الكبير الرائد شاكر حسن آل سعيد

**الفنانة التشكيلية زينب المبارك**

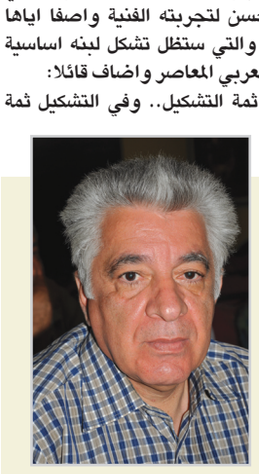

إن كانت للدنيا بعض الأحلام الحلوة المتصلة بالواقع التشكيلي في سبعينيات القرن الماضي حينما كنا طلاباً في الإعدادية، فإن من ضمنها ومما لا شك فيه هي جداريات الطفولة والتصوف والحرف التي كان يقدمها الفنان الراحل شاكر حسن آل سعيد في رؤيته (البعد الواحد).

كنا نغور معها ونتألف مع لوحاته كالأصدقاء إذ إنها تستوحي رموزها من باطن الذاكرة وخربشات الحيطان، ذلك كان الزمن الجميل!

**الفنان الفوتوغرافي كفاح الأمين**

شاكر حسن آل سعيد واحد من نتاجات العبقرية العراقية في فضاءات الفن التشكيلي العراقي ضمن تجلياته العالمية استاذاً وفناناً مبدعاً ومنظراً وصاحب طريقة واتجاه واضح في رسم لوحة خلصها من زوائدها ومنحها أفقاً في الإنجاز والتلقي وهو واحد من الحروفيين الذي منح الحرف العربي حضوراً متميزاً في اللوحة شاكر حسن آل سعيد صوفي عراقي في فضاء التشكيل العراقي.

**الفنان المسرحي عزيز خيون**